ففي تلك الثورة، امتنع الفلاحون عن دفع الضرائب، وهجموا على مخازن الحكومة ونهبوها، واقتحموا المكاتب الحكومية وبعثروا محتوياتها وأتلفوا سجلات المحاكم، وقتلوا موظفي الدولة، ومزقوا برديات القوانين في الطرقات، واحرقوا قصور الملك والاغنياء وفتحوا قبورهم وبعثروا اشلاءهم. ومعروفة جيداً لدى دارس الأدب المصري القديم بردية نفرتي التي يصور فيها الاحوال التي ادت الى اندلاع الثورة ويقول فيها: «انظروا الى الصناع، انهم لا يعملون، فقد اضاع اعداء البلاد ما فيها من حرف. ان الذي يحصد الحصاد لا يعلم عنه شيئاً، وذلك الذي لم يحصد يملأ مخازنه بالغلال». من المهم ملاحظة ان هذه البردية تتحدث عن الارستوقراطية الحاكمة، وعلى رأسها الملك ــ الاله بالطبع، باعتبار افرادها «اعداء البلاد». وهناك بردية اخرى اوردها برستد تنطق بعض فقراتها بالشماتة من تلك الارستوقراطية الحاكمة، حيث تقول: «الأشراف يتوجعون، اما المعدمون فتمتلىء قلوبهم بهجة، واولئك الذين كانوا يرفلون في الثياب غدوا في اسمال بالية، وسيدات البيوت يسألن: اما من شيء نأكله؟»(٢٠).

وسنجد، فيما بعد، ان اية قداسة لن تمنع الفلاحين من العصيان والتمرد. ففي ايام رمسيس الثاني، ثاني ملوك الاسرة التاسعة عشرة (١٣٥٠ ــ ١٢٠٠ ق.م.)، أضرب الفلاحون المجندون للعمل في المحاجر وتوقفوا عن العمل، واضطر رمسيس الثاني الى ان يتوجه اليهم في مقر العمل ويلقي فيهم خطاباً يضمنه ما يمكن ان نصنفه بانه اول قانون عمل في التاريخ، حدد فيه رمسيس للعمال حقوقهم في الطعام والماء البارد للشرب، وفي الملبس والعطر، وحدد مدة العمل بشهر واحد بالتناوب لكل فلاح، وحق اهلهم سواء كانوا في الوجه البحري أم في الوجه القبلي في الحصول على الحبوب والفول والملح وما الى ذلك(٢١).

وفي حكم رمسيس الثالث، عام ١١٦١ ق.م.، توقف الفلاحون الذين كانوا معبئين لبناء المقابر الملكية عن العمل بسبب قلة الطعام الذي كان يصرف لهم، ولم يعودوا إلى العمل إلا بعد ان صرفت لهم مخصصاتهم كاملة.

كان من أهم المكاسب التي حصل عليها الفلاحون، نتيجة لثوراتهم منذ ٢٢٨٠ ق.م.، ان صار لهم ولكل العامة من المواطنين، الحق في ادخال ابنائهم الى مدارس «الموظفين»، ويفسر ذلك انتشار الادب* الذي كان يعبر عن انتقادات الفلاحين لنظام الحكم ولكبار رجال الدولة، على عكس ما وصل إليه بعض الباحثين من استنتاجات مفادها ان الفلاح المصري لا يجرؤ على انتقاد السلطة.

فمنذ عام ٢٠٠٠ ق.م.، وحتى اوائل الدولة الحديثة، شاعت مناجاة كتبها الكاهن «خع خبر رع سنب» واتخذت طابع الموال الشعبي؛ وهو يقول فيها: «كل يوم يستيقظ الرجال في الصباح لكي يعانوا، وليس للفقير قوة تنقذه من الذي يفوقه... تمر المصائب كل يوم، ولكن احزان الغد لم تمض بعد». كذلك عثر على نصوص كثيرة منقوشة على قطع من الفخار تستنزل اللعنات على فرعون ورجاله(٢٢).

ويظل اكثر النصوص تعبيراً عن موقف الفلاح المصري من السلطة ومن الدين هو ذلك